Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وربما يحملنا هذا المظهر الطريف للموشحات أن نقيم بينها وبين المدنية الأندلسية علاقة أيقونية، على حد تعبير "بيرس" السيميولوجى الأول، على أساس المشاركة النوعية بين المجتمع الأندلسى الأجناس، الذى قامت فيه المرأة الرومية بدور الخرجة فى الموشحة، وهو دور الأنثى الحاضنة، وبين بنية هذه الموشحة نفسها، عندما تعكس بصرياً التكوين المادى والثقافى للبيئة الأندلسية المنضدة المهجنة، المنعمة بالحيوية والخصوبة والشعر.

٤- كسر النمط الأخلاقى :

فى لفتة بالغة الذكاء انتبه أبو تمام لعلاقة الفن باللعب والشعر بالفكاهة عندما قال :-

يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة .. ويقضى بما يقضى وهو ظالم

بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما فطن إلى تداخل الجد والهزل فى نسيج القصيدة الشعرية :

الجد والهزل فى توشيع الحمتها .. والنيل والسخف والأشجان والطرب

ولكن هذا التوشيع لم يبلغ مداه، ويفرض منطقه، ويتأسس كجزء من نظام المقطوعة الشعرية إلا فى الموشحات. فكما خلطت بين ألحان الشعر ومستويات اللغة بانحراف حاد عن نهج القصيدة عمدت إلى الإطار الأخلاقى الصلب الذى تكلس حول الإبداع الشعرى فأصابه بالجمود والنمطية فقفزت من فوقه، ولعبت بقوانينه، وجعلت العبث المحسوب من تقاليده، وأكمل هذا الصنيع دورة العبثية التى تخللت الأوزان والتراكيب، فمخرج الأنغام، واستعمال العامية والأعجمية لعب فنى مبتدع لم يعرفه القصيد من قبل، وطرافة دلالته تتلاقى مع طرافة الأدب المكشوف التى تتجلى فى الموشحة، خاصة فى الخرجة، وإن كانت كلها - كما يقول ابن سناء الملك، وكأنه يقنن مالمحه أبو تمام - "هزل كله جد، وجد كأنه هزل" فعلى حافة العلاقة المسنونة بين العقل والعبث، والتعبير والتصوير تتراءى أمام الفنان أعمق مظاهر الحياة، وأوضح معالم الوجود الفعالى للإنسان فى المجتمع، دون تكلف أو ادعاء أو تصلب. هنا يصل خلط الأساليب الفنية إلى مداه، وتدخل لمحات من الكوميديا المرحة إلى الأدب العربى، إذ تتجاوز الموشحة النغم الغنائى المنفرد لتجسد موقفاً ذا أبعاد اجتماعية، ولنقرأ بعض نماذج هذا الخروج، مما يطيقه حسنا